شكل الاستعمار الاوربي للانسان الافرو ـ آسيوي تهديدا وتحديا : تجلى التهديد في فعله المستمر لتشويه التطور الطبيعي للمجتمع وتدمير كل خصائصه التاريخية ، وتحد عبر عن نفسه في وعي الانسان المستعمر للهوة التاريخية التي تفصل بين عجزه وتخلفه وجبروت و « تقدم » الانسان المستعمر · ومن ديالكتيك التهديد والتحدي **والحضور المباشر** للمستعمر انطلق النضال الوطني في وتائر تختلف من بلد الى آخر ، وشاركت قوى اجتماعية مختلفة في هذا النضال رافعة راية الدين والتراث والاساطير ، واصبح هذا النضال تيارا مكونا من قوى اجتماعية مختلفة هدفها النهائي هو الاستقلال الوطني المدفوع **بايدولوجيا** قومية ·

اذا رجعنا الى منطق صراع المستعمر / المستعمر ودرسناه في شكل بدايته ومساره ونهايته نستطيع الوصول الى الاطروحات التالية :

١ ـ تبلورت النزعات والايدولوجيات القومية غالبا **نفيا** ، فهي لم تنطلق من خط قومي واضح ، بل نمت عبر منطق النفي والتمايز عن الآخر وظلت لذلك تابعة في نموها وتصاعدها وخمودها الى الآخر (المستعمر) **وحضوره المباشر وشكل ممارسته** · لذلك نقول ان كل تحديد بالنفي هو تحديد زائف او ناقص ·

٢ ـ وكما انتجت الرأسمالية البروليتاريا ، فان الاستعمار حرض النزعة القومية وشارك في حركة تشكلها خالقا قوة تواجهه وتثور عليه (٥) · لذا يلاحظ ان وتائر نمو القومية تختلف من بلد الى آخر معبرة عن مدى الصراع مع الاستعمار وحدوده ·

٣ ـ اذا كانت الطبقة البرجوازية رفعت وحيدة راية القومية الاوروبية لخلق (السوق القومية) ، فان الامر لم يكن كذلك في آسيا وافريقيا ، فقد شارك (ويشارك) في الحركة القومية طبقات وزمر اجتماعية مختلفة كان شعارها « تحرير الوطن » لا « السوق القومية » ·

٤ ـ القومية الافرو ـ آسيوية ظاهرة لا متجانسة ، بلا قوانين ، تتباين في مستوى تطورها ، وما هو مشترك فيها يعود الى الاثر التاريخي الناتج عن ديالكتيك الاستعمار والتحرر ·

الاشكال اللامباشرة للوعي القومي : ظهر الوعي القومي الاوروبي في مجتمع متمايز طبقيا ، واضح الحدود ايدولوجيا وسياسيا · دفع هذا التمايز الوعي الى حدود الوضوح ، ونأى به عن حدود السديم واللا تحديد ، فاقترب الوعي القومي من مفهومه النظري ، اما الوعي القومي في افريقيا واسيا فقد عرف قدرا آخر مرتبطا بتاريخه وشروطه الاجتماعية ، عكس هذا الوعي شروطه وترجم تاريخه ·

خاض الانسان المستعمر معركته « القومية » بوعي قومي لا مباشر ، وعي